صورةُ السَّيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الشِّعرِ الحِلِّيّ

م.د. عياد حمزة شهيد الويساوي

المديرية العامة لتربية بابل

gan162gna@gmail.com

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/ muhaqqiq.v19i25.357

الملخص

تشيرُ فرضيةُ البحث الذي بين أيدينا إلى أنّ هناك محطات من الفكر البشريّ يركزُ في معطياته على أسس بعينها تكون منطلقًا وجوهرًا، وفي معطياته السلوكية والنفسية والاجتماعية والدينية والثقافية بعمومها.

ومن هذه المحطات الفكرية هي الانطلاقةُ الشعريةُ نحو حقيقةٍ بعينها وتوجه بعينه ويمكن تلمس آثارها في عموم الشِّعر العربيّ منذ البدايات الأولى للنشأة والتطور والتكوين وصولًا إلى عصرنا الحاضر، فنرى أنَّ الفكرَ الشعريَّ له حقيقة مؤداة يُعَبّرُ عنها لتكون ميدانه الرحب في كونه نَسَقًا حاملًا لمدلولات البيئة والثقافة بكلِّ ما فيها، ومن هذه المحطات الفكرية الشعرية التي تجلت بها انساق بعينها هي محطة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بكونها الرمز الفكري والديني والثقافي الأول المعبِّر عن العقيدة والدين، وقد تجلت بوضوح في القرآن الكريم والشعر والنثر على حد سواء، فنرى تلمس وجودها في القرآن الكريم بما نزل في حقها وحق أبيها وبعلها وبنيها من آيات مباركة، وما وثقته السُّنَّةُ النبويةُ المطهرةُ من أحاديث وروايات متواترة، وما قدمته الأسرة نفسها من سلوكيات ظاهرة ومضمرة جعلتها في الصدارة لتثبيت دعائم الدين بكل تجلياته وقيمه، فكان حقًّا للشعر أن يحمل هذا المحطة ويقدمها بأفكار عدة بما ورد عنهم وتواتر في القرآن والسُّنَّةِ.

الكلمات المفتاحية:

السيدة الزهراء عليها السلام ، الشعر الحلي، الصور الشعرية، ابن العرندس.

The Image of Lady al-Zahra (AS) in Hilli Poetry

Lect. Dr. Iyad Hamza Shahid al-Wisawi
General Directorate of Education, Babil
gan162gna@gmail.com

Abstract

The hypothesis of this study suggests that certain intellectual milestones shape human thought, focusing on specific foundations that serve as both a starting point and an essence in behavioral, psychological, social, religious, and cultural dimensions.

Among these intellectual milestones is the poetic expression directed toward a particular truth and perspective. This tendency can be observed throughout the history of Arabic poetry, from its earliest origins through its development and evolution to the present day. Poetry, as an intellectual construct, embodies the meanings and values of the environment and culture in which it emerges.

One of the prominent poetic themes reflecting this intellectual and spiritual engagement is the portrayal of Lady Fatima al-Zahra (AS), the foremost religious and cultural symbol representing faith and doctrine. Her presence is clearly affirmed in the Quran, poetry, and prose alike. The Quran contains blessed verses revealed in her honor and that of her father, husband, and sons. Similarly, the purified Prophetic Sunnah has recorded numerous authenticated narrations regarding her status. Additionally, the exemplary conduct of her family—both in their outward actions and their deeper significance—placed her at the forefront of upholding and solidifying the principles of religion.

Thus, poetry rightfully embraced this theme, presenting it through various perspectives, drawing from the Quranic and Sunnah-based narratives that highlight her esteemed position.

Keywords:

Fatima al-Zahra (AS), Ornamental poetry, poetic images, Ibn al-Arandas.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المبحث الأوَّل

(الإطار النظريّ العام)

للشعرِ موضوعاتٌ كثيرةٌ يدورُ الشاعِرُ في فلكِها، وهي موضوعات الحياة نفسها التي يستقيها الشاعر من بيئته وثقافته، لذا نرى غلبة موضوعات مُعيَّنة في بيئةٍ مُعيَّنةٍ في زمنٍ بعينِه، وينتجُ عنه غيابُ الموضوعات الأخرى، وهذا الأمرُ له دواعيه وأسبابه وظروفه التي جعلته يظهر أو يضمر في تلك البيئة دون غيرها؛ فقد تكون ظروفًا تاريخيَّة أو اجتماعيَّة أو دينيَّة هي التي تنتجُ وتوجّه ذلك الشعر نحو تلك الموضوعات دون غيرها.

فالبيئة الثقافيَّة تنتجُ لنا مجموعةً من الأنساق التي تتأطَّر في ذلك السياقِ الكلِّي الشموليّ الذي نرى تجلياته الظاهرة والمضمرة في التوجه السياسيّ، والتاريخيّ، والدينيّ، والمعرفيّ، وغير ذلك من توجهات الثقافة التي هي صورة مُعيَّنة من ذلك المُحرِّك الثقافيّ الأوسع الذي يشتغل في تلك الروافد المختلفة التي يغذيها وينتجها، وهي تغذيه وتنتجه في الوقت نفسه؛ لأنَّها عمليّة تأثر وتأثير، عملية انتاج وتصدير واستهلاك، ومن ثمَّ تنتجُ بصورةٍ عكسيَّة راجعة لذلك المُحرِّك الثقافيّ نفسه؛ لتساعده على ديمومته واستمرارية وجوده وتحوّله وتبدله وهيمنته.

وهو ما يتضحُ بصورةٍ واضحةٍ وجليةٍ في الشعرِ الذي ينتمي إلى تلك البيئة الثقافيَّة المُمتدة زمانيًّا ومكانيًّا بأفقٍ واحدٍ من التصورات الواقعيَّة لوجود نوعٍ شعريّ مائز فيها، وهذه البيئة هي البيئة الحِلِّيَّة التي رأينا أنَّ الموضوع الشعريّ المائِز فيها هو شعر الثقافة الدينيَّة المتمثِّل بالولاء والانتصار لأهل البيت عليهم السلام منذ تمصير تلك المدينة سنة (٤٩٥هـ) على يد الأمير صدقة بن منصور المزيديّ[1]، وحتَّى

قبل تمصير تلك المدينة، إذ يقول ابن الحجَّاج النيلي بحقِّ السيدة الزهراء عليها السلام ما نصّه[٢]:

ست النساء غدًا في الحشر يخدمها
أهــلُ الجنــانِ بحــورٍ خُــرّدٍ عــينِ

لنرى أنَّ الزهراء كانت موضوعًا شعريًّا لشعراء سابقين على تمصير المدينة، فالجذور العقديَّة كانت موجودة من هذه البيئة المترامية الأطراف ذات الطابع الولائي لأهل البيت عليهم السلام.

وتجلَّى الأمر بدءًا في كون تلك الصبغة الدينيَّة متجليَّة في السلوك الثقافيّ بدءًا من توجه السياسة الداخليَّة والخارجيَّة للدولة المزيديَّة[٣]، ومن ثمَّ الحاضنة المجتمعيَّة التي نمت وتوسَّعت أفرادًا وأُسرًا، بعد أن كان لها وجود ملموس قبل التمصير، وأصبح وجودًا جليًّا مهيمنًا وواضحًا بعد التمصير، وليس انتهاءً بما أُنتج من مؤلَّفات عقديَّة وأصوليَّة وأدبيَّة.

حتَّى اصطبغ المناخ الثقافيّ بذلك التوجه الذي اختطَّه أمراء تلك الأسرة، والذي كان له حاضنة مجتمعيَّة على بساطتها ممَّا قبل التمصير تسير بهذا التوجه ولكن على صعيد الأفراد لا المؤسسات والدولة، وبقي ذلك النسق باستمراره إلى وقتنا الحاضر، وإن تحوَّل أو أُضمر في بعض الأحايين تبعًا للتوجهات السلطويَّة وتبعًا للتسلط الداخلي والخارجي (الدولة العبَّاسيَّة،[٤] المغول[٥]، والتأثير الفارسي والتأثير التركي[٦])، وفي موضوعات المديح والرثاء والفخر بهم، وهجاء أعدائهم، فكان ذلك الشعر العقدي هو الممثل الحقيقي لذلك الولاء الخالص لأهل هذه المدينة والمعبِّر عن واقعهم الثقافي منذ عصور التمصير.

وكان ذلك الشعر العقديّ الولائي لمحمَّد وآل محمَّد عليهم السلام يمثِّل الطابع العام للمدينة؛ وهناك أسباب جوهرية نشأت عليها الحِلَّة ومنها إجمالًا وليس تفصيلًا

كون أمراء هذه المدينة من الشيعة الإماميَّة الإثنا عشرية[٧]، وكثرة المقامات والمراقد فيها للعلماء والصالحين وذراري أهل البيت عليهم السلام، ووقوعها على طرق المدن المقدسة في كربلاء والنجف وبغداد، ووجود الحوزة العلميَّة لما ينيفُ على ثلاثة قرون، ووجود الأسر الحِلِّيَّة العلميَّة[٨] التي أسهمت في الحراك الفكري العقدي والفقهي والشعريّ وإغناء الحركة العلمية في تاريخ المدينة الطويلة، ..، هذه الأسباب وغيرها ساعدت على نشوء المدينة بطابع الولاء والانتماء لأهل البيت عليهم السلام.

مصطلحات البحث:

١ – **الصورة** بأدق تعبير «هي الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا في صدورهم ممَّا اختزنوه من إحساسات سابقة كمنت في عقولهم ثم إعادة بنائها من جديد»[٩]، ومحاولة بيان هذه الصورة وتجليتها من مكامنها تعد عنصرًا مهمًّا من عناصر الحركة في النصوص الشعريَّة، فهي بناء جماليّ قائم على الحركة، حركة الخيال لدى المبدع والمتلقي[١٠].

٢ – **الشعر الحِلِّي**: هو ذلك الشعر الذي قيل في بيئة زمكانية معيَّنة بدءًا من تمصير هذه المدينة سنة (٤٩٥هـ)، وإلى زماننا هذا، وما تميَّزبه من سمات فنيَّة وأسلوبية وموضوعية.

٣– التحولات: صُنِّف التحول إلى ثلاثة أبعاد هي (التحوّل من اللاوجود إلى الوجود وهو ما يسمى عندهم بـ (الكون) أو (الحدوث)، وتحول من الوجود إلى اللاوجود ويسمونه (الفساد) أو (الفناء)، وتحول من الوجود إلى الوجود وهو (حركة)[١١]، ونحن نبحث في الصنف الثالث من هذه المصطلحات أي التغيير والتبدل والتطور والذي يحدث في بنية الصورة وماهيتها في الشعر.

لذا كانت السيِّدةُ الزهراء بؤرةً ومركزًا شعريًّا مُهيمنًا في كلِّ الطروحات

الشعريَّة التي جاء بها شعراء تلك المدينة؛ لأنَّ الزهراء عليها السلام هي النور الذي انبثقت منه أنوار الإمامة كلها، لذا كان الشعراء ينطلقون من صورتها المختزلة في ذاكرتهم الجمعية تارة عامة، والفردية بخاصةٍ، بصورة وجودها ومكانتها وظلامتها وسلب حقّها وما جرى على أبنائها.

ولو حدَّدنا شعراء البيئة الحِلِّية الذين كتبوا عن الزهراء في أشعارهم لوجدنا ما ينيف على (١٦) شاعرًا في مدة زمانية معيَّنة، وهم كلٌّ من: جمال الدين الخليعي (ت٧٥٠هـ)، والشيخ حافظ رجب البرسي الحلي (ت٨١٣ هـ)، وصالح ابن العرندس الحلي (ت ٨٤٠ هـ)، والشيخ مغامس بن داغر (ت ٩٠٠ هـ)، وسليمان ابن داوود الكبير (ت ١٢١١ هـ)، والسيد مهدي بن داود الحلي (ت١٢٢٢ هـ)، والشيخ صالح الكواز (ت ١٢٩٠ هـ)، والشيخ محمد الملّا (١٣٢٢هـ)، والسيد حيدر الحلي (ت١٢٤٦هـ)، والشيخ حسن مصبح الحلي (ت ١٣١٧ هـ)، والشيخ محمد علي اليعقوبي (١٣٨٥ هـ)، وغيرهم الكثير.

المبحث الثاني

الميدان التطبيقي (صورة الزهراء في الشعر الحِلِّي)

ولو استعرضنا الشعراء الذين كتبوا حول الزهراء بالخصوص، لوجدنا القائمة تطول بدءًا من تمصير الحِلَّة وما بعدها، ليشكلِّ الشعر الحِلِّي أطروحة مائزة في هذا الميدان العقدي والولائي ومن استعراض الأشعار التي قيلت في حقها؛ نرى أنها تدور في فضاءات متعددة.

مقدمات القصائد:

قدَّم الشعراء صورة الزهراء عليها السلام في أشعارهم على أنموذجين شعريين بالمجمل الكليّ، وتنبع هذه الصور من طبيعة البناء الفني والموضوعي للقصائد نفسها التي حاول الشعراء بها أن يعبروا بها عن أفكارهم، الأولى منهما وهي التخلص من مقدمات القصائد المتعارف عليها وهي المقدمة الطللية والغزلية وما شابهها، والثانية هو السير على منوال الشعر العربي التقليدي في عصره الأوَّل وهو الإتيان بالمقدمة والالتزام بها كليا أو جزئيًّا، وقد رأينا الأنموذجين حاضرين في الشعر الحِلِّي.

أوَّلًا: وجود المقدَّمة:

ومن موارد النوع الأوَّل هي تلك التي نراها عند الخليعيّ إذ يقدِّم قصيدتين بالمنوال نفسه وبصورةٍ واحدةٍ دون الوقوف على الأطلال والديار يقول في قصيدته الأولى[١٢]:

[الكامل]

لَـمْ أَبْـكِ رَبْعًـا للأَحبّةِ قَـدْ خَلا
وَعَفَـا وَغَيَّـرَهُ الجَديـدُ وَأَمْحَـلا
كَلَّا ولا كَلَّفْتُ صَحْبي وَقْفَةً
فـي الـدَّارِ إنْ لمْ أَشْـفِ صَبًّـا عَلَّلا

وَمَطــارحُ النَّــادي وغــزْلانُ النَّقَا
والجَــزْعُ لــمْ أَحْفَــلْ بهــا مُتَغَــزِّلا
وَبَواكرُ الأَظْعَانِ لَمْ أَسْلُبْ لها
دَمْعًــا وَلا خِــلٌّ نَــأى وَتَرحَّــلا
لكِنْ بَكَيْتُ لِفاطِمٍ وَلِـمَنْعِها
(فَــدَكًا) وَقَدْ أَتَــتِ الرِّمَــامَ الأَوَّلا

ويقول في قصيدته الثانية على النهج نفسه (المنسرح)[١٣]:

لَــمْ أَبْكِ مــن وَقْفَــةٍ علــى الدِّمَنِ
ولا لِخِــلٍّ نَــأى ولا سَــكَنِ
وَلَــمْ تَهِجْنــي الدِّيــارُ مُوْحِشــةً
ولا شَــجَتْني بَواكــرُ الظُّعــنِ
لكِــنْ شَــجَانِي بُــكاءُ فَاطِمَــةٍ
عَــلَــى أَبــيــهَــا بمَــدْمــعٍ هَــتِنِ

فكلا القصيدتين يبدأهما بمغادرة تلك المقدمة التي اعتاد الشعراء على النظم بها، وهو ههنا يتجاوز قصدًا البناء الفني المألوف في هذا النوع من القصائد والتي تشتغل على نسقية شعريَّة بعينها في بناء القصيدة العربية بأن يبدأها بمقدمة ومن ثمَّ يصف حاله وما آلت إليه أموره ليعرج من ثمَّ على الغرض الرئيس من القصيدة التي يرومها كأنْ تكون للمدح أو الرثاء أو غيرها، فالشاعر يذهب إلى موضوعه الرئيس الذي يعبِّر عنه وهو الصورة التي يريد إيضاحها، فكانت في القصيدتين البكاء والتحسر والتوجع لما جرى على الزهراء من فقدان أبيها بدءًا ومن ثمَّ فقدانها لإرثها والمقصود به (فدك).

ومن النماذج على النوع الثاني بوجود المقدّمات في القصائد الموجَّهة للسيدة

الزهراء عليها السلام قول الشاعر الشيخ حسن الحمود الحلي (ت ١٣٣٧ هـ)[١٤]:

(البسيط)

سَلَ أربُعًا فطمت أكنافها السُّحُبُ
عن ساكنيها متى عن أُفقها غَربوا
سُرعانَ ما صاح طيرُ البَين بينهم
فأصبحوا فِرَقًا عن عُقرها عزَبوا
سرت تجوبُ الفيافي فيهم النُّجُب
ولي فؤاد قفا آثارهم يجبُ
أتبعتُهم ناظِرًا خيل الدموع به
تسابقت فهو دامي الغَرب مختَضِبُ
أضحَت منازلهم للوحش مُعتَكفًا
فيهنّ طيرُ الفَنا ينعى وينتحبُ
أوهت قواعدها كفّ الضَّنى فعفت
آثارها ومحَت سِيماءه النُّوَبُ
وقفتُ فيها ودمعُ العين مُنسَكِبٌ
كالغيث والنارُ في الأحشاءِ تلتهبُ
وبي لواعجُ وَجدٍ لو رَميتُ بها
صَدرَ الفضا ضاق وهو الواسعُ الرحِبُ
حَيران أقبِضُ في رَعش البنَان حَشًا
حرّى أناخَت بها الأحزانُ والكُرَبُ

فبعد هذه المقدِّمة التي قدَّمها الشعر في وصف حالته النفسية والوقوف على تلك الديار الخالية الموحشة التي لم يبقَ إلَّا رسمها، مازجًا شعوره بالدموع والجوى والتحسر بالفقد لما حلَّ بآل بيت النبوة، يذهب إلى حوارية ما بين الذات والآخر

(الشاعر نفسه) على أسلوب الحوار الذاتي الذي يصطنعه الشاعر بآخر يسأله ويستفسر منه الشيخ حسن حمود بقوله من القصيدة نفسها[١٥]:

وقائــل لي رَفِّــه عن حَشَــاكَ ولي
وَجــدٌ إذا ما نَــزا بالقلــب يضطربُ
فقلتُ لم يُشــجِني نأيُ الخَليطِ ولا
ربعٌ مَحَت رَســمَه الأعــوامُ والحِقَبُ

فهنا تتحوَّل تلك الصورة من المقدَّمة إلى الحوارية ما بين الذات والآخر إلى الدخول في صلب القضية الفاطميَّة التي تتعلَّق بأهل البيت جميعهم عليهم السلام بقوله في فقد الرسول الأعظم وما جرى على الأمَّة من فرقة وتفرقة وتجزئة بإشارة إلى الآية القرآنية المباركة بقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾[١٦]:

لكــن أذاب فــؤادي حــادثٌ جَلَــلٌ
تُنمــى إليــه الرَزايــا حــين تَنتَسِــبُ
يوم قضــى المصطفى في صُبحِه وعلى الــ
أعقــابِ مــن بعــده أصحابُــه انقلَبــوا

ليتسلسل الشاعر تأريخيًّا في توضيح الحوادث التي آلت على آل البيت، من تقييد أمير المؤمنين، ومن ثمَّ كسر ضلع الزهراء بقوله:

قادوا أخــاه ورَضّوا ضِلــعَ بَضعتِه
بِجَورِهــم ولَهــا البَغضاء قَــد نَصَبوا

ومن ثمَّ يقدِّم لنا صورة وصفية حوارية تقدِّمها إلى أبيها وتشكو ما أصابها وبيتها بعده، وإنما حدث بسبب هذا الفقد الكبير الذي حدث وانقلبت الأمَّة بسببه بقوله:

لـم أنسَـها وهـي تَنعـاه وتَندبُـه
وقَلبُهـا بيـدِ الأرزَاء مُنتَهَـبُ
تقـول يا والدي ضـاق الفضاءُ بنا
لـمّـا مَضيـتَ وحالت دونَـك التُّربُ
قـد كان بعـدك أنبـاءٌ وهنبَثـةٌ
لو كنت شاهِدها لم تَكثُر الخطب
(إنّـا فقدناك فقـد الأرض وابلَها
واختلّ قومك) فاشهَدهم فقد نَكِبوا

قال مغامس بن داغر الحلي في قصيدة طويلة يبدأ بمقدمة قريبة للغزلية على عادة الشعراء يخاطب بها الدنيا، وموضوع القصيدة في بضعة الرسول الأكرم فاطمة الزهراء ومن ثمَّ العروج على قضية كربلاء بقوله[١٧]:

[الطويل]

صَحِبْتُـك لا أنّـي بـودّكِ مُغْـرمُ
دَعينـي فَغيْـري فـي هَـواكِ مُتيّـمُ
أرى الرّأْي يا دُنْيا بمَيْلي إلى الصِّبا
تَـدُومُ عَلى الـدّارِ الّتي سَـوْفَ يُقْدَمُ
عَلِمْتُـكِ عِلْمًـا مُسْـتفادًا فَدلَّني
عَلى بُؤْسِـكِ الْعِلْمُ الّذي كُنْتُ أعْلَمُ
خَشـيتُ دَواهيكِ الّتي تَدْهَمُ الفَتى
فَقدّمْـتُ حَزْمًـا والحزَامَـةُ أسْـلَمُ
تَقانعْـتُ بالمَيْسـورِ فيـكِ مَخافَةً
عَلى عَـرْض ذَنْبـي والْقَناعـةُ أحْزَمُ

وهكذا يتسلسل في أبيات أخرى تواليًا في قصيدته مذكرًا وواقفًا ومسترشدًا وقانعًا إلى أن يصل إلى اللوحة الشعرية الرئيسة بحقِّ السيدة الزهراء عليها السلام، بعد أن تُوُفِّيَ أبوها، وبدأت مضارب العدوان تتأسس تجاهها وبنيها وزوجها بقوله:

ومَا أسّــسَ الْعُــدوانَ إلاّ مَعاشِــرٌ
لِبضْعــةِ خَيْــرِ المُرْسَــلينَ تَهضّمُــوا

ويصور مجيئها ونساء قومها، ليبين أن الزهراء لم تسكت عن حقها بل خرجت مع النساء لإرجاع الحقِّ إلى أهله بقوله مصوِّرًا حالها حين رأت من تولى الحكم مكان أبيها بعد أن بكت واستبكت وذكَّرت ووضحت وبينت:

غَــداةَ أتتْ في عُصْبةٍ مِنْ نِســائِها
تُخاصِــمُ والأبغى عِن الحَــقّ تَخْصِمُ
فلَمَّا اسْتَبانَتْ نَسلَ تَيم بْنِ مُرةٍ
مَــكانَ أَبيهــا يَســتَطِيلُ ويَحكُــمُ
فَرَنَّتْ وأنَّتْ فاغْتَدَى الكُلُّ سَامِعًا
لهَــا باكيًــا والرِّجــسُ لا يَتَبــرَّمُ

لتعرج بالسؤال والاستفهام والحجاج بالأدلَّة والشهود بقولها:

فقالــتْ لهُ: ابْــنَ الأجيــرِ ظلَمتَنِي
تُــراثَ أبــي والحــقُّ لا يَتَجَمْجَــمُ
ولِــي نِحلَــةٌ عِنــدي شُــهودٌ ثَلاثَةٌ
عليهــا وبَعلِــي يالَــكَ الوَيْــلُ مِنهُــمُ

وبعد أن أقامت الدليل والحجة وبينت زيف موقفهم، فما كان من القوم الذين اغتصبوا الخلافة والإرث إلَّا ردّها يقول الشاعر بعين الراصد للأحداث والواقف على جزئياتها ليقدِّمها بصورة تمثيلية موضحًا الحركة والفعل والكلام والحداثة

اختزالًا:

فأَبْطَـلَ دعواهـا وَرَدَّ شُـهودَها
ولـمْ يَنـهَـهُ عمَّـا تـوخَّاهُ شِـلَّمُ
فقامتْ تَجُرُّ الذَّيلَ جرًّا ودمعُها
علـى صَفحاتِ الخدِّ يَهمِي ويَسْـجُمُ

ليتحوَّل الشاعر من ثمَّ إلى نعيها وولدها الحسن والحسين وما جرى عليها بعشرات الأبيات إلى آخر القصيدة بقوله:

لَهـا لَهَفـي مظلومـةً أمْ لِبَعلِهَـا
ومـا دفـنَ الهَـادي عليـه تقدَّمُـوا

وقال السيد سليمان بن داوود الحلي في قصيدة طويلة به يبدأ بالمقدمة التقليدية للقصيدة العربية راثيًا السيدة فاطمة الزهراء[١٨]:

[الكامل]

بِنتم فَلا الأجفانُ مِنْ عَبرَاتِهَا
قَـرَّتْ وَلا الأنفـاسُ مِـن زَفَراتِهَـا
هل تَطلُبُون سـوى السُّهاد ومُهجةٍ
تَتَوقَّـد الأحشـاءُ مِـنْ حَـسَـرَاتِها؟
هَذِي مَنازِلكُم سَلُوهَا كَم جَرَى
دَمعِي وَكَيفَ وَقَفـتُ فِي عَرصَاتِها
وَسَلُوا الصَّبَا عَن صَبِّكمْ أَفَهَل صَبَا
قَلبِـي لِغيرِكُـمُ عَلَـى هَضَباتِهَـا؟
مَـا خِلـتُ قَبـلَ وِقُوفِنَـا بِديَارِهِم
أنَّ القُلُـوبَ تُـذَابُ فـي نَفَثَاتِهَـا

لَــو تَعلمونَ أُهَيــلَ وِدِّي مَــا النَّوى
لَقلــت نُفُوســكمُ لَذيــذَ حَياتِهــا
أشتَاقُكُم والبينُ ليسَ بسَامعٍ
شَــكوًى تَــرِقُّ لَهــا قُلُــوب عِدَاتِها
مَــن لــي بِقــومٍ لا يُــذلُّ نزيلُهــا
أبــدًا ، وليــس يُــرَاع فــي كُرُباتها
لاجُــودَ إلَّا يَــومَ بَــذلِ نَوَالِهــا
أو صَولــةً يومًــا لِغيــر كُمَاتِهــا
هَــذِي مَنَازلُهــا وذِي وُرَّادُهــا
تَبكِــي مَعَالِمهــا وفَقــدَ حُماتِهَــا
يَا دَارَ (أحْمَدَ) والوصِيِّ و (فَاطِمٍ)
حَاشــاكِ مِــن ضَيــمٍ بِجــورِ بُغاتِها
مَــا كُنتَ تَصنَعُ يا رَسُــولَ اللّهِ لَو
شَــاهَدت (فاطمــةً) بِظُلــمِ طُغَاتِهَا

فنرى أنَّ البناء المتسلسل لهذه القصيدة الطويلة قد جرت على العادة الفنية المتبعة كما عرفناها في نظرية عمود الشعر التي حدَّها العلماء الأقدمون مصوِّرين فيها البناء الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه القصيدة من محددات، فابتدأها الشاعر وقوفًا على الذكريات والأطلال مصورًا ما جرى على تلك المنازل المطهرة من ويلات ومصائب وويلات نتيجة ظلم الآخر، حتّى يقدِّم حواره وسؤاله للرسول الأعظم ماذا سيفعل لو رأى ما جرى على فاطمة وبنيها من تلك الفئة الباغية، مستعرضًا كلّ ما حدث عليها من استلاب الخلافة وكسر ضلعها وحجاجه بقضية فدك ودور الزهراء في إثبات حقها بالحجة والدليل القرآني، ولكن كلّ ما يحصل أن لا

يلقى من الآخر آذانًا مصغية، ويستمر الظلم ويجري على أبنائها واحدًا بعد واحدٍ، ليختمها بما يوسم بـ«التوقيعة الأسمية» أو «الختام الشعري» بأن يذكر اسمه في نهاية القصيدة طالبًا الرحمة والمغفرة والشفاعة منهم بقوله:

وأَنَــا ابــن دَاودٍ سُــلَيمَانٌ بِكُــم
أَرجُــو خَــلاصَ النَّفسِ مِــن عَثَرَاتِهَا
أَزكَىٰ سَــلامِ الكَائِنَاتِ عَلَيكُمُ
يَــا خِيــرَةَ البَــارِي وَخَيــرُ صَلاتِهــا

وهذا الأمر الموسوم بـ«التوقيعة الأسمية» قد حفل به الشعر الحلي في قصائدهم الرثائية والمدحية لأهل البيت عليهم السلام وتميز به شعراء الحِلَّة دون غيرهم من شعراء العربية، فكان هذا الأسلوب موصوفًا بهم دون غيرهم.

ثانيًا: التخلص من قيود المقدَّمات:

ومن البعد الآخر الذي يذهب إليه الشعراء لمعالجة صورة السيدة الزهراء عليها السلام هو التخلص من القيود الكلاسيكية للمقدمة العربية التقليدية والذهاب إلى الموضوع المراد التعبير عنه مباشرة وقد حفل الشعر الحلي بالكثرة الكاثرة من هذا النوع من القصائد والمقطوعات والأبيات المفردة التي جاءت في سياق القصائد العامة والخاصة.

ومن الصور الشعريَّة ما يتصل بفضاء النسب المتصل بالرسول الأعظم، وبكونها زوج أمير المؤمنين وأم الحسن والحسين عليهم السلام ومنها قول الشاعر الشيخ محمد علي اليعقوبي[١٩]:

[الرجز]

أيّ المَعالــي لــم يَنَــل غايتهــا
أم أيّ فخــرٍ لِــذُراه مــا ارتقــى

قــد خصّــه المختــار دون غيــره
بفاطــمِ خِيــرةِ نِســوانِ الــوَرى
لــولا علــيٌّ لم يكــن كفــوٌ لها
مــن أوّل الدنيــا إلــى يــومِ الفَنــا
رامــوا العُلــى فأخطــأوا مَنارها
هيهــات مــا أصــاب كلُّ مَــن رمى
لو لم يكن خَيرَ الرِجالِ لم تكن
زوجتــه فاطِمــةُ خيــرَ النِّســا
إِن الــذي كان مــن المَهــرِ لهــا
فــوق الســما أوفــرُ ممّا فــي الثَّرى
وا عجبًــا مــاءُ الفُــراتِ مَهرُهــا
ومنــه يُحــرَم ابنُهــا فــي كربــلا

ومنها فضاء المظلومية والظلامة التي وقعت عليها بعد وفاة أبيها وكسر ضلعها بسبب الفئة الباغية، وسقوط جنينها «المحسن» وفيها يقول الشاعر [٢٠]:

وَبدَارِهَا نَارَ العَدَاوةِ أَضرَمُوا
حَطَبًــا عَلَــى أَولادِهَــا وَبَنَاتِهَــا
وَبِضَغطِ بَابِ الــدَّارِ رَضُّوا ضِلعَهَا
فَرَمَــت جَنِينًــا مِــن خِيَــارِ كُفاتِها
وَبِــضَــربِ أســوَاطٍ تَــوَرَّمَ جَنبُهَا
وَرُسُــومُهُ بَقيــت ليَــومِ مَمَاتِهَــا

ومنها قضية غصب حقها وإرثها والقصة المعروفة بالتاريخ حول فدك والتي ورَّثها إياها النبي عليه أفضل الصلاة والسلام في حياتها، ومنها قول الشاعر

الخليعي بقوله[٢١]:

[الكامل]

لكِنْ بَكَيْتُ لِفاطِمٍ وَلِمَنْعِها
(فَدَكًا) وَقَدْ أَتَتِ الرِّمَامَ الأَوَّلا
إذْ طَالَبَتْهُ بِإِرثِها فَرَوَى لَها
خَبَرًا يُنافي المُحْكَمَ المُتَنَزَّلا

فالشاعر يلبس قناع الحزن والندب والرثاء والبكاء على الزهراء بسبب سلب الحق الذي ورثته من الرسول الأعظم، وقد أصبحت قضية الندب والبكاء من مميزات الشعر العقدي الحلي عمومًا وما يتعلَّق بحادثة الزهراء عليها السلام خصوصًا.

والشاعر مغامس بن داغر الحِلِّي يحكي على لسان حال الزهراء عليها السلام تجاه الآخر المغتصب لحقِّها بإرث النبوة كلها ممَّا يجعل الآخر مستحقًّا للعن من قبل الله تعالى[٢٢]:

[الكامل]

كيفَ السلامةُ والخطوبُ تنوبُ
ومصائبُ الدُنيا عليك تصوبُ
والطُّهْرُ فاطِمةٌ زَوَى ميراثَها
شَرُّ الأَنامِ ودَمْعُها مَسْكوبُ
مِن بعْدِ ما رمَتِ الجَنينَ بضَرْبةٍ
فقَضتْ وواجِبُ حَقِّها مَغْصوبُ

فقد قدَّم صورتين شعريتين، الأولى غصب حقها، والأخرى سقوط جنينها، والعروج على المغتصب لحقِّها ووصفه بأنَّه (شرُّ الأنام)، وهو دلالة على مقدار الحقد والبغضاء الذي أحاط بها من الطرف الآخر المغتصب للخلافة وأحقيتها بفدك.

والشعراء في كلِّ ما يطرحونه يتكَّئون على القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهَّرة بأحقيَّةِ الزهراء عليها السلام.

ومن القصيدة الأولى للخليعي نفسه يصل إلى أن تشكو الزهراء (عليها السلام) الإله بما فعله القومُ بالحسين عليه السلام والتذكير به، وكأنه استشراف من الشاعر بما سيكون على لسان العارف بقولها استشهادًا بقوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢٣] في نهاية السطر الشعري الأول، وهو سبب ما جرى على أهل البيت من ضياع للحقوق وهتكًا لحقوقهم[٢٤]:

وَتَنَكَّبُوا نَهْجَ السَّبيلِ بِقَطْعِ مَا
أَمَرَ الإلهُ عِبَادَهُ أَنْ يُوصَلا
وَلَقَدْ أَزَالَكُمُ الهَوى وَأَحلَّكُمْ
دارَ البَوارِ مِنَ الجَحيمِ وَأدْخَلا
وَلَسوفَ يَعْقُبُ ظُلْمَكُمْ أَنْ تَتركوا
وَلَدي بِرمْضَاءِ الطُّفوفِ مُجدَّلا
مَعَ فِتْيَةٍ مِثْلِ البُدُورِ كَوامِلًا
عَرَضَ المَحاقُ بِها فَأَمْسَتْ أُفَّلا
وَأَقُومُ مِنْ خَلَلِ اللُّحودِ حَزينَةً
وَالقَوْمُ قَدْ نَزَلتْ بِهِمْ غِيَرُ البِلا
وَيَرُوعُني نَقْطُ القَنا بِجُسُومِهِمْ
وَيَسُوؤُني شَكْلُ السُّيُوفِ عَلى الطُّلَى
فَأُقَبِّلُ النَّحْرَ الخَضِيبَ وَأَمْسَحُ الـ
ـوَجْهَ التَّريبَ مُضَمَّخًا وَمُرَمَّلا
وَيَقومُ سَيِّدُنا النَبيُّ وَرَهطُهُ
مُتَلَهِّفًا مُتَأسِّفًا مُتَقَلِقِلا

فَيَرى الغَريبَ المُسْتَضامَ النَّازحَ الـ
أَوْطـانِ مُلْقًـى في الثَّرَى ما غُسِّـلا

فالزهراء عليها السلام تستعرض ظلامة الإمام الحسين عليه السلام ذلك بأنَّ ضياع الحق الأول وهو الإرث الخاص بها، أعقبه استباحة حقوق أسرتها بما جرى من ويلات وأحداث، حتَّى يأتي الرسول الأعظم وصحبه للشهادة على هذا الفعل.

حديث الكساء:

ضمَّن الشعراء الحليُّون واقعة الكساء في أشعارهم بعدِّها من الفضائل التي روتها الزهراء عليها السلام، وقد رأينا أنَّ أهم أنموذج لهذا التوجه ما ضمَّنه السيد أبو المعز محمد القزويني نجل الحجة الكبير السيد مهدي القزويني المولود في الحلة الفيحاء عام ١٢٦٢هـ[٢٥]، حين قدَّم الأديب فنًّا شعريًّا جديدًا وهو أن يضمّن قصيدته الشعرية كما يمكن أن يصطلح عليه الشعر التوثيقي بصبغة تاريخية ممزوجة بالأسلوب الجزل والخيال الواسع والمعرفة الحقيقية بأسلوب سردي وقصصي مائز في قصيدته؛ ليُسهّل على البعض حفظه، وللإشارة إلى أهمية الحديث وموضوعيته، لذا أدخل حديث الكساء في مشروعه الأدبي وتسلسل في روايته ليخلص إلى فاجعة السيدة الزهراء بقوله[٢٦]:

[الرجز]

روت لنـا فاطمـةُ خيـرُ النسـا
حَدِيثَ أهل الفضلِ أصحاب الكسا
تـقـول إنّ سـيـدَ الأنـامِ
قـد جاءنـي يومًـا مـن الأيـامِ
فقـال لـي إنـي أرى فـي بدنـي
ضعفًـا أراه اليـوم قـد أنحلنـي

قومـي علـيَّ بالكسـا اليمانـي
وفيـه غطينـي بـلا تـوانِ
قالـت فجئتـه وقـد لبيتـه
مسـرعة وبالكسـا غطيتـه
وكنـت أرنـو وجهـه كالبـدر
فـي أربـع بعـد ليـالٍ عشـرِ
فمـا مـضى إلا يسـير مـن زمن
حتـى أتـى أبـو محمـد الحسـن
فقـال يـا أمـاه إنـي أجـدُ
رائـحـة طـيـبـة أعـتـقـدُ
بـأنـهـا رائـحـة الـنـبـيِّ
أخـي الوصـي المرتضـى علـيِّ
قلت نعم ها هو ذا تحت الكسـا
مدثـر بـه تغطـى واكتسـى
فجـاء نحـوه ابنـه مسـلما
مسـتأذنًا قـال لـه ادخـل مكرما
فمـا مضـى إلاّ القليـل إلاّ
جـاء الحسـين السـبط مسـتقلا
فقـال يـا أم أشـم عنـدك
رائحـة كأنهـا المسـك الذكـي
وحـق مـن أولاك منـه شـرفا
أظنهـا ريـح النبـي المصطفـى

قلت نعم تحت الكساء هذا
بجنبه أخوك فيه لاذا
فأقبل السبط له مستأذنا
مسلما قال له ادخل معنا
وما مضى من ساعة إلا وقد
جاء أبوهما الغضنفر الأسد
أبو الأئمة الهداة النجبا
المرتضى رابع أصحاب الكسا
فقال يا سيدة النساء
ومن بها زوجت في السماء
إني أشم في حماك رائحة
كأنها الورد الندي فايحه
يحكي شذاها عرف سيد البشر
وخير من لبى وطاف واعتمر
فقلت نعم تحت الكساء التحفا
وضم شبليك وفيه اكتنفا
فجاء يستأذن منه سائلا
منه الدخول قال فادخل عاجلا
قالت فجئت نحوهم مسلمه
قال ادخلي محبوة مكرمه

فيقدِّم أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام هي روائية محدِّثة روت حديثًا مسندًا عن أهل الكساء ذلك الرمز العقدي الذي تشتغل عليه المدوَّنة الشيعية في تاريخها الطويل

من حيث إثبات أفضلية أهل هذا البيت بورود (محمَّد، وعلي وفاطمة، والحسن، والحسين) عليهم السلام، هم ذلك الأسوة والقدوة والأنموذج الإلهي لكلِّ البشريَّة، ومن ثمَّ يتدرج الشاعر بسرد تلك القصة الواقعة شعرًا بأدوات السرد المتعارف عليها من (الذات المقدَّسة، والشخصيات الخمسة وجبرائيل عليه السلام، المكان وهو بيت الزهراء وتحت الكساء اليماني، والزمان هو وقت اجتماعهم معًا في يوم بعينه بعد السنة السابعة للهجرة، والفكرة هي بيان المنزلة وتثبيت القدر الإلهي لأهل هذا البيت، ومن ثمَّ بيان أحقية أهل هذا البيت بالنبوة والخلافة والإمامة من الله تعالى، والعروض على الخطاب الإلهي القدسي الخاص بهم، وما جرى من ثمَّ عليها من اغتصاب حقها وكسر ضلعها وسقوط جنينها، وضياع إرثها وسبي أولادها وبناتها في كربلاء، بأسلوب شعري يعتمد على الاسترسال وسرد القصة بآلية الحوار المتعدد الأصوات ما بين الله عزَّ وجلَّ وجبريل وأهل الكساء والشاعر نفسه بالأسلوب المتعارف (قال، قلت، قالت،..)، مع لغة واضحة وسهلة ومأنوسة لا لبسَ فيها ولا غموضَ واضحة للمتلقي بغية الإيصال، وهو أسلوب يعتمد على قصر العبارة وتكثيف الدلالة للمعنى المراد توضيحه والابتعاد عن الزخرف اللفظي والمعنوي بكلِّ تجلياته، بقصيدة قد زادت على (خمسة وخمسين) بيتًا من الشعر العمودي.

التأنيث

ويقدِّم الشعراء صورة للتأنيث في القصيدة بمجيء الزهراء ورهط معها من النساء ليشهدوا ظلامتها وظليمة ولدها بقول الخليعي، بأسلوب المحاججة والحوار ومحاولة إثبات الأحقية لأهل البيت عليهم السلام بقوله[٢٧]:

[الكامل]

لـمْ أَنْسَـهَا إذْ أَقْبَلَـتْ في نُسْـوَةٍ
مـنْ قَوْمِهـا تَـرْوي مَدَامِعهـا المَـلا

وَتَنفَّســتْ صُعُدًا وَنَــادتْ أَيُّها الــ
أَنْصــارُ يــا أَهْــلَ الحِمايــةِ والكَلا
أَتَــرَونَ يــا نُجُــبَ الرِّجــالِ وَأَنْتُمُ
أَنصارُنــا وَحُماتُنــا أَنْ نُخْــذَلا؟
مَــا لــيْ ومــا لِدَعــيٍّ تَيْــمٍ أَدَّعي
إِرْثــي، وَظَــلَّ مُكَذِّبًــا وَمُبَــدِّلا
أَعَليْــهِ قَــدْ نَــزَلَ الكِتــابُ مُبَيِّنًا
حُكْــمَ الفرائِــضِ أَمْ عَلَينــا نُــزِّلا؟
أَمْ خَصَّــهُ المَبْعُــوثُ مِنْــهُ بِعِلْــمِ ما
أَخْفــاهُ عَنّــا كــي نَضِــلَّ وَنَجْهَلا؟
أَمْ أُنْزِلَــتْ آيٌ بِمَنْعــي إِرْثَــهُ
قَــدْ كانَ يُخْفِيهــا النَّبــيُّ إذا تَــلا؟
أَمْ كانَ في حُكْمِ النَّبيِّ وَشَــرْعِهِ
نَقْــصٌ فَتَمَّمَــهُ الغَــويُّ وكَمَّــلا؟
أَمْ كانَ دِينــي غَيْرَ ديــنِ أَبي فَلا
مِيْــراثَ لــي مِنْــهُ وَلَيْــسَ لَــهُ وَلا
قُومُــوا بِنَصْــري إِنَّهــا لَغَنيمَــةٌ
لِــمَــنِ اغْتَــدى لي نَاصِــرًا مُتَكَفِّلا
وَاسْــتَعْطِفُوْهُ وَخَوِّفُــوْهُ واشْــهدُوا
ذُلّــي لَــهُ وَجَفَــاْهُ لــي بَيْــنَ المَلا
إِنْ لَجَّ في سُخْطي فَقَدْ عَدِمَ الرِّضا
مِــنْ ذي الجَــلالِ ولِلْعِقــابِ تَعَجَّــلا

أَو دَامَ فــي طُغْيانِــهِ فَقَــدِ اقْتَنــى
لَعْنًــا عَلــى مَــرِّ الزَّمــانِ مُطَــوَّلا
أَيْنَ الــمَوَدَّةُ في القَرَابةِ يا ذَوي الــ
إيْمــانِ مَــا هــذي القَطيْعَــةُ والقَلا؟
أَفَهَــلْ عَسَــيْتُمْ إنْ تَوَليتُــمْ بــأَنْ
تَمْضــوا عَلى سُــنَنِ الجَبابِــرةِ الأُلى

فالأسلوب الذي اتبعته الزهراء هو أسلوب إثبات الحق من الكتاب وسنَّة أبيها بالدليل القاطع ومن الحوادث الواقعة في زمانها، مستعملة أسلوب الاستشهاد على الآخر الغاصب لحقها بأسلوب المناظرة والمكاشفة وشهادة الناس عليها بخطبة عصماء قدَّمت فيها كلّ الأدلَّة على ما تريد إثباته، وقد قدَّمه الخليعي على ما يسمى بقضية التوثيق الشعري وفاقًا للمنهج التاريخي في عرض النصوص وتداولها واستخراج الحقائق التاريخية عن طريقها باليقين الثابت والدليل القاطع والحجَّة الدامغة.

وجاء ذكر الزهراء سلام الله عليها في موضوعات المدح والفخر والرثاء والحكمة والتهاني دون غيرها، ومن هذه الصور ما جاء في قصيدة ابن العرندس الحِلِّي بقوله في قصيدته المشهورة (طوايا نظامي في الزمان لها نشر) إذ يذكر الزهراء عليها السلام في موضعين بقوله[٢٨]:

[الطويل]

أ يُقتلُ ظـمآنًا حُسينٌ بكربلا
وفِــي كُلِّ عُضْــوٍ مِــنْ أنامِلِــهِ بَحرُ
ووالدُهُ السّاقي على الحَوضِ في غَدٍ
وَفَاطمــةٌ مَــاءُ الفُــراتِ لَهَــا مَهْــرُ

فقد عضَّد فقد الإمام الحسين عليه السلام بكونه قد استشهد عطشانَ بصورتين شعريتين خارجيتين تعودان إلى أبيه وأمه؛ بكون الأب هو الساقي في الحوض، وبكون الزهراء مهرها ماء الفراتء، ليتعجب ويقف متسائلًا عن أسباب ما جرى في كربلاء.

وفي القضية ذاتها يقول ابن العرندس، موضحًا المديح الذي خصَّ به الإمام الحسين عليه السلام من ذلك النسب المكرَّم الذي اختصَّ به أئمة أهل البيت عليهم السلام بقوله[٢٩]:

[الكامل]

وَأبــوهُ حَيْــدَرَةُ الــذي بِعُلومِــهِ
وَبِفَضْلِــهِ شَــرْحُ الكِتــابِ تَفَصَّــلا
وَالأمُّ فاطِمَــةُ المُطَهَّــرَةُ التــي
بالمَجْــدِ تــاجُ فَخارِهــا قَــدْ كُلِّــلا
نَسَبٌ كَمُنْبَلَجِ الصَّباحِ يَزينُهُ
حَسَبٌ شَبيهُ الشَّــمْسِ زاهِي المُجْتَلى

فقد بيَّن أنَّ ذلك النسب قد توارثه الإمام الحسين عليه السلام بصورة واقعية بدءًا من الجد، وليس انتهاءً بالأب والأم.

وفي الميدان ذاته من ذكر في نسب العترة المطهرة والفخر بها على سائر الناس، والذي عمد إليه الشعراء بصورة قصديَّة؛ ليكون مدحهم ورثاؤهم لما يسمى بالأنموذج والمثال والقدوة والمتمثل بأهل البيت والأئمة عليهم السلام قول الحافظ رجب البرسي بقوله[٣٠]:

[الكامل]

والأمُّ فاطمــة البتــولُ وبضعــة الــ
ـهــادي الرســول لها المهيمــن مانح

حـــوريّـــة إنـــسـيّـــة لجمالها
وجلالهـــا الوحـــي المنـــزل شـــارح
ذات البهـــا والعزّ والشـــــرفِ التي
شـــرف المديـــح بهـــا وعـــز المـــادح
أمُّ الأئمـــةِ مـــن قريـــش فمـــا بهم
إلا هـــلال فـــي الدُّجُنَّـــة جانـــح
وحليلـــة المولـــى الذي نـــال الهدى
مـــن فيضـــه الغـــادي لـــه والرائـــح

فهنا يجعل الشاعر التصور الشعري بأن من يمدح الزهراء هو الذي يتشرف بذكر اسمها وخصالها، لأنها بضعة الرسول، والذي بشَّر بها جبرائيل، وبكونها زوج الأمير، وأم الأئمة، وهكذا يتسلسل بهذا النسب المطهر ليثبت الأولوية العظمى لهذا البيت المكرَّم من النسب الظاهر والجليل.

وهكذا نَرَى أنَّ الموضوعات في القصائد متداخلة ما بين وجود النسب الخاص بها بالرسول الأعظم وزوجه وأبنائها، وما بين قضية غصب إرثها واستباحة حقها، وما بين فاعلية التأنيث الخاص بالصورة برسم الواقع الفكري من خلالها، ومن ناحية ذكر الفضائل والشمائل والخصال وحديث الكساء وغيرها من الأفكار والمضامين الشعرية التي أثبتت بأن الصورة الخاصة بالزهراء هي صورة متحولة ومركزة قائمة على التطور والتجديد جيلًا بعد جيل، وشكَّلت نسقًا متصلًا في الشعر الحِلِّي عمومًا، وعند شعراء بعينهم خصوصًا.

الخاتمة:

١- كانت صورةُ السيدةُ الزهراء عليها السلام التي قدمناها في هذا البحث هي صورة نسقية تنبع من أدبٍ كُتب في ضوء بيئة معيَّنة له أسبابه ومؤثراته وموضوعاته التي نشأت في إطار ثقافته الظاهرة والمضمرة والتي هيأت هذه الأبعاد في الشعر والنثر على حدٍّ سواء، وقد تتبعنا هذه الصورة بصورة خاصة في أشعار الشعراء دون أن نقدِّم تصورات وفرضيات بعيدة عن الواقع، بل كان العنوان وما يرتبط به نابعًا من الشعر نفسه.

٢- ووفقًا لما لدينا من المعلومات فإنّ هذا الكتاب توجد منه ثلاث نسخ في إيران ونسخة رابعة في تركيا. وجدير بالذكر أنّ فهرست فنخا لم يذكر سوى وجود نسخة واحدة من هذا الكتاب بعنوان موصل الطالبين . وهذه النسخة موجودة في مكتبة ملك بالرقم ١٦٢٩ تمّت كتابتها بتاريخ السادس من ربيع الأوّل سنة ٧٩١ هـ على يد عبد الله بن محمّد بن مجاهد بن أبي السرور بن أبي العزّ .

٣- لم تكن صورة الزهراء عليها السلام في الشعر الحلي في بداياته صورة منفردة ومعقودة لها قصائد بعينها، بل جاءت ضمن التصور العام للقصيدة التي تبدأ بمقدماتها ومن ثم استهلالها وبعدها الغرض الشعري الرئيس كمدح أو رثاء أو فخر وجاءت صورة السيدة الزهراء ضمنية ههنا في المرحلة الأولى.

٤- في المرحلة الثانية جاءت صورة السيدة فاطمة الزهراء بصورة أكثر حضورًا وفاعليةً وتحليلًا فكانت هناك قصائد بعينها ومساحات شعرية واسعة قُدمت من خلالها تلك الصورة الكلية التي يمكن أن نستقري التاريخ من خلالها وحدها دون الرجوع إلى أي مصدر تاريخي .

٥- استعمل الشعراء اسم الزهراء عليها السلام تارة بصورة موضوعية واضحة للمطالبة بحقها وإرثها ومكانتها وما قاربها من معطيات، وتارة أخرى بكونها الرمز الكلي

والتصور الذهني لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فكان الخطاب الثقافي يبدأ بـ (بني فاطمة، بني الزهراء، ...) للدلالة على الكل والعموم والشمول لذلك التصور .

٦- فيما يخصُّ مساحة الاشتغال الحقيقي لصورة السيدة الزهراء في الشعر الحلي عند الشعراء من خلال كمية الأشعار ونوعيتها فقد رأينا أن جمال الدين الخليعي أخذَ مساحةً واسعةً في أشعاره وخصَّصَها للزهراء عليها السلام، وقد فاق بها الشعراء الحليين من حيث القصائد والمقطوعات، في حين لامسَ ابنُ العرندس قضية الزهراء من خلال مدحهِ ورثائهِ للإمام الحسين عليه السلام في مقطوعات قصار مختصةٍ بقضيةِ النَّسَبِ، في حين رأينا أنَّ مغامسَ بن داغر الحلي قدَّمَ أشعاره تارةً بقصائد كاملة، وتارة بمقطوعاتٍ منفردةٍ.

٧- لقد كان للقضايا الفنية التي اتبعها الشعراء الأثر الأكبر في تكوين الصورة الشعرية وبناء القصائد، ولا سيما في قصائد الوصف (في المدح والرثاء)، متكئين على الحوار والحجاج والتناص والبحور الشعرية والنظم عليها لتحميل البيت الشعري دلالاته المضمونية الكبرى التي يتسع لها النظم على تلك البحور، مستشفعًا بالسرد الذي يحكي ملامح الحكاية أو القصة في كل ما ورد من أبيات شعرية بطريقة السرد الواقعي للأحداث التاريخية مع ما رافقها من خيال شعري خلَّاق.

٨- نَهَجَ الشعراءُ في أشعارهم نَهجَينِ في الكتابة الشعريَّة؛ الأول: التخلص من قيد مقدمة القصيدة العربية وهو ما يعني أنَّهم تجاوزوا الأشكال التقليديّة لبناء القصيدة والذي يفرض بدء القصيدة بمقدمة طويلة بالمدح أو الحماسة أو وصف الرحلة، في محاولة الشعراء لتحرير أنفسهم من القيود التقليدية في أساليب الكتابة للتعبير عن موضوع القصيدة أو مشاعرهم، و هو الشكل المباشر الذي يتضمن أبياتًا أو مقطوعات جاءت بصورة مباشرة في قصائد خاصة أو ضمن

موضوعات أخرى تخصُّ الفكر الشعري العقدي الحِلِّي، وهو يميل إلى المباشرة والوضوح والبيان.

والآخـر: الالتزام بالبناء الفني للقصيدة العربيـة في تاريخها الطويل من حيث المقدمة وتسلسلها بالبناء الفني المعهود وقد رأيناه بنماذج عديدة من قصائد الشعراء لتمسكم بمفهوم الأصالة المعهودة في الشعر العربي.

الهوامش

(١) يُنظر: مراصد الاطلاع: ١/ ٤١٩.

(٢) درة التاج من شعر ابن الحجَّاج: ١١٢.

(٣) ينظر: تاريخ الحوزات العلميَّة والمدارس الدينيَّة عند الشيعة الإماميَّة: ٤/ ١١٦-١٢٠.

(٤) ينظر عن تأثير الدولة العبَّاسية على الوضع الثقافي في مدينة الحلة: الكامل في التاريخ: ١٢/ ٤٣٨-٤٣٩؛ ويُنظر: تاريخ الحِلَّة: ١/ ٤٤.

(٥) وحول الدور المغولي وصعود الإمارة الشيعيَّة وما جرى من أحداث داخليَّة وخارجيَّة -في ظلها- جعلت من الحرية والانفتاح والاستقلالية لمدينة الحِلَّة وما تابعها، ينظر: الفخري في الآداب السلطانيَّة: ١٧، منتهى المطلب: ٣/ ١٧. ويُنظر أيضًا: تاريخ المؤسسة الدينيَّة الشيعيَّة: ٣٣١ وما بعدها.

(٦) ينظر: حول هذه الحوادث التي امتدت لعشرات السنين: تاريخ الحِلَّة: ١/ ١٠٣-١٠٤، تاريخ العراق بين احتلالين: ٣/ ٣٦٧، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: ١/ ٧٠.

(٧) وقد أشار إلى ذلك الرحالة ابن بطوطة بقوله: «وأهل هذه المدينة كلُّهم إماميَّة اثنا عشرية». رحلة ابن بطوطة: ٢٣٠.

(٨) ينظر بالإجمال فيما يتعلَّق بهذا الموضوع: مدرسة الحِلَّة وتراجم علمائها من النشوء إلى القمة: ٦٦-٨٠.

(٩) فن الشعر، هوراس، ترجمة: لويس عوض، مكتبة النهضة المصري، ط١، ١٩٤٧م، ٣٧.

(١٠) يُنظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد،، ١٩٦٥م: ٢١٣.

(١١) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، زيادة معن، معهد الانحاء العربي، ط١، ١٩٨٦ م: ٢٣٩.

(١٢) ديوان الخليعي: ٤٥-٤٦.

(١٣) ديوان الخليعي: ٢٧٣.

(١٤) أدب المحنة: ٤٦٦.

(١٥) ادب المحنة: ٤٦٦

(١٦) آل عمران، من الآية (١٤٤).

(١٧) ديوان مغامس بن داغر: ١٩٧

(١٨) ديوان السيد سليمان بن داود الكبير: ١٥٥.

(١٩) ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٣هـ، ونشأ في مدينة الحلة فتعلَّم علومها وتأدب بآدابها، وظهرت موهبته منذ سن مبكر من حياته، لذا فضمن فضاء ومحدِّدات الانتساب المكاني بإمكاننا أن نعده من شعراء الحِلَّة. يُنظر حياته وترجمته: البابليات:٤/ ٢١٧، أدب الطف: ١٠/ ١٩٤.

(٢٠) ديوان السيد سليمان بن داود الكبير: ١٥٥.

(٢١) ديوان الخليعي: ٤٦.

(٢٢) ديوان مغامس بن داغر: ٤٥-٤٧.

(٢٣) [الشورى: ٢٣].

(٢٤) ديوان الخليعيّ: ٤٨-٥٠.

(٢٥) يُنظر: أدب الطف: ٨/ ٢٩٠ ، الأدباء من آل أبي طالب: ٣٧١ .

(٢٦) أدب المحنة: ٣٠٤٣٠٧

(٢٧) ديوان الخليعي: ٤٧-٤٨.

(٢٨) ديوان صالح ابن العرندس الحلي: ٦٧

(٢٩) المصدر نفسه : ٩١.

(٣٠) ديوان حافظ رجب البرسي: ٦٩.

المصادرُ والمراجعُ

٣١. أدبُ الطّف أو شعراء الحسين عليهما السلام من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر: جواد شُبَّر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٤٠٩ هـ .

٣٢. الأدباءُ من آل أبي طالب: السيد مهدي الرجائي الموسوي، الناشركتابخانه بزرگ حضرت آيت الله العظمى مرعشى نجفى. گنجينه جهانى مخطوطات اسلامى، ط١، ١٤٣٤هـ .

٣٣. البابليّاتُ: محمد علي اليعقوبي مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، ١٩٥١م .

٣٤. الفخري في الآداب السلطانيَّة: محمَّد بن علي بن طباطبا المعروف ابن الطقطقا، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٥. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٦. الموسوعة الفلسفية العربية ، زيادة معن ، معهد الانحاء العربي ، ط١ ، ١٩٨٦ م.

٣٧. تاريخ الحِلَّة: القسم الثاني، العلّامة: يوسف كركوش الحِلِّيّ، المكتبة الحيدرية، ١٤٣٠هـ، ط١.

٣٨. تاريخ الحوزات العلميَّة والمدارس الدينيَّة عند الشيعة الإماميَّة: د. عدنان فرحان آل هاشم، شركة دار السلام، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٣٩. تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات، ط١، لندن، ١٤٢٥هـ.

٤٠. تاريخ المؤسسة الدينيَّة الشيعيَّة من العصر البويهيّ إلى نهاية العصر الصفويّ، جودت القزوينيّ، طبعة دار الرافدين، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤١. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٢. درة التاج من شعر ابن الحجَّاج، ابن الحجَّاج النيلي، تحقيق: د. علي جواد الطاهر، منشورات الجمل، ١٩٩٩م.

٤٣. ديوان الحافظ رجب البرسي: تحقيق حيدر عبد الرسول عوض، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥ م.

٤٤. ديوان السيد حيدر الحلي: تحقيق د. مضر سليمان الحليّ، منشورات الأعلمي للمطبوعات بيروت، ٢٠١١م .

٤٥. ديوانُ الخليعيّ: تحقيق د. سعد الحداد، مركز العلَّامة الحلّي، الحلة، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.

٤٦. ديوان السيد سليمان بن داود الكبير: تحقيق مضر سليمان الحلي، دار الأرقم، بابل، ط ١، ٢٠٠٨م.
٤٧. ديوان السيد مهدي الحلي: دراسة د. مضر سليمان الحلي، منشورات الأعلمي، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.
٤٨. ديوان الشيخ صالح الكواز: جمع محمد علي اليعقوبي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠م .
٤٩. ديوان صالح ابن العرندس الحلي: د.سعد الحداد، بوستان كتاب، قم، ط٢، ٢٠١٨م.
٥٠. ديوان مغامس بن داغر الحلي، صنعة د. سعد الحداد، ط١، مركز العلَّامة الحليّ، الحلة، ٢٠١٩م .
٥١. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتيّ الطَّنجيّ (ت ٧٧٩هـ)، قدَّم له وحقَّقه الشيخ عبد المنعم العريان، دار إحياء التراث، القاهرة، ١٩٨٧م.
٥٢. شعراء الحلة أو البابليّات: علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٢م .
٥٣. فن الشعر، هوراس، ترجمة: لويس عوض، مكتبة النهضة المصري، ط١، ١٩٤٧م.
٥٤. قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥م.
٥٥. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: د. علي الوردي، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٧١.
٥٦. محمد علي اليعقوبي حياته وشعره، د. طالب خليف السلطاني، دار الأرقم للطباعة، الحلة، ٢٠٠٨م.
٥٧. مدرسة الحِلَّة وتراجم علمائها من النشوء إلى القمة (٥٠٠ -٩٠٠هـ) وما بعدها بقليل: حيدر السيِّد موسى وتوت الحسينيّ، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ.
٥٨. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق البغداديّ (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق علي محمَّد البجاويّ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤م.
٥٩. منتهى المطلب: العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، مؤسسة الطبع والنشر، الآستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ.
٦٠. موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي: السيد محمد الحلو، مؤسسة دار الكتاب الجزائري للطباعة والنشر، قم، ١٤١٩ هـ.